تأملات في زمن الانكسارات

خواطر شاب عربي في زمن العتمة

عبد الرحمان حسنيوي

الهامش BLOGS

عبد الرحمان حسنيوي

تأملات في زمن الانكسارات

خواطر شاب عربي في زمن العتمة

كتاب الكترونية

مدونة الهامش الثقافية

2025

تنويه: اقرأ كتاب "تأملات في زمن الانكسارات: خواطر شاب عربي في زمن العتمة" حين تجرؤ على مواجهة ذاتك، فكل صفحة منه تُطفئ وهماً وتُشعل سؤالاً، وكل فكرة تُعرّيك من أقنعتك لتريك كم كنت غريباً عن نفسك.

جميع الحقوق محفوظة © 2025

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

روحي إمي وجدتي..

أبي راعي حلمي..

كل عائلتي وأصدقائي وتلامذتي..

كل وفي للعلم والمعرفة..

فهرس الكتاب

مقدمة: 2
ظل الحلم 4
أرصفة الانتظار 5
صراع الهوية 6
أقنعة السوشيال ميديا 7
مدن بلا قلب 9
زمن الاستهلاك 10
أحلام مؤجلة 11
أجنحة مكبلة 12
ذاكرة الحلم العربي 13
غرباء في ديارنا 15
شبح المستقبل 17
وجوه بلا ملامح 19
أنين الصمت 21
الشوارع الحزينة 23
بين الماضي والحاضر 25
أثقال على القلب 27
رسائل النجاة 29
إشراق الأمل 31
أجنحة لا تنكسر 33
رسالة الحلم الأخير 35
خاتمة 37

" عشت بهذه الطريقة، وكان بالإمكان أن أعيش بطريقه أخرى. قمت بهذا، ولم أقم بذاك. لم أفعل أشياء، في حين فعلت أخرى. وماذا بعد؟ كأني انتظرت طيلة عمري كي أبلغ تلك الدقيقة، ذاك الفجر الذي سأنال فيه جزائي. لا شئ كان ذا أهمية وكنت أعلم جيداً لماذا. "

ألبير كامو

مقدمة:

أيها القارئ الذي يتصفح بين يديه هذه الكلمات، أكتب لك هذه الخواطر وكأنها رسائل من القلب إلى القلب، من الروح إلى الروح، في هذا الزمن الذي يبدو فيه كل شيء متشابكًا، معقدًا، ولا يمكن للفهم أن يلمسه بسهولة. في كل كلمة هنا، هناك جزءٌ من ذاتي، جزء من تساؤلاتي، وأحلامي، وأوجاعي.

نحن في هذا العصر، نعيش في لحظة تداخل فيها الماضي بالحاضر، وتاهت فيها هويتنا بين أمواج التغيير. قد تحس أحيانًا أنك غريب في وطنك، أو أن كل شيء حولك يتفتت ولا يترك لك إلا رمادًا يطفو في الهواء. لكن تذكر: أن هذه الخواطر ليست حروف على ورق، بل أجنحة تطير بك إلى مكان آخر، إلى قلب المعاناة التي لا تتوقف، وإلى أفق الأمل الذي ينبض رغم كل شيء.

رسالتي لك أيها القارئ هي أن تستمر في البحث، وألا تتوقف عن طرح الأسئلة التي تراودك، حتى وإن كانت صعبة. انظر إلى العالم بعين ناقدة،

وتذكر أن كل شيء في هذه الحياة زائل، وأن الأمل يكمن في قدرتنا على التحمل، والتحوّل، والنهوض من جديد.

لا تدع الكلمات تتوقف عند السطر الأخير، دَعها تتردد في عقلك وتستقر في قلبك، فهي خواطر صاخبة تسعى لإيجاد مكان لها في هذا العالم المزدحم، تمنحك القوة لتستمر. وإذا وجدت هذه الكلمات صدى في قلبك، فقد أكون حققت جزءًا من رسالتي. في الأخير، تذكر أن هذه الخواطر والتأملات ماهي إلا بداية رحلة جديدة وفرصة لرؤية العالم بعينين مختلفتين.

ظل الحلم

تبدو الأحلام في مدننا كظلالٍ بعيدةٍ، تهرب كلما اقتربنا منها، كأنها سرابٌ يحترف الخداع.. نركض نحوها بكل ما لدينا من طموحٍ وأمل، لكنها تبقى هناك، على حافة الممكن، بين الواقع والمستحيل.

أحلمُ ببيتٍ دافئ، بعملٍ يمنحني الكرامة، بوطنٍ يحتويني بدلًا من أن يضيق عليّ.. لكن كلما نظرتُ حولي، رأيتُ شبابًا مثلي يطاردون نفس الأحلام، وكلما اقتربوا، تحوّلت الأجنحة إلى قيودٍ، وتحولت الأحلام إلى كوابيس.

يقولون: "الحلم لا يُكلف شيئًا"، لكنهم لا يعرفون أن أثقل الأعباء هي تلك الأحلام التي نحملها ولا نستطيع تحقيقها، لأن الأحلام في مدننا ليست لنا، كأنها كتبت لغيرنا، كأنها تُباع في أسواقٍ نحن ممنوعون من دخولها.

أتساءل: **هل يمكن للحلم أن يتحقق؟ هل يمكن له أن يصبح أكثر من مجرد كابوس أو أضغاث أحلام؟ أم أن أجنحة الحلم خُلقت لتظل مكبّلة؟**

أرصفة الانتظار

نجلس على أرصفة الانتظار كأننا سجناء زمنٍ لا يتحرك، فكل يومٍ يشبه الآخر، وكل ساعةٍ تضيف عبئًا جديدًا إلى أرواحنا.. أرى وجوهًا شاحبة حولي، شبابًا بعمر الزهور، لكن عيونهم تطفح بالحيرة والتعب واللامعنى.

ننتظر شيئًا لا نعرفه، كأننا ننتظر المعجزة: فرصة عمل، كلمة أمل، أو حتى إشارة بأن القادم أجمل...، لكن الأرصفة لا تُجيب، والوقت لا يرحم.

نتحدث أحيانًا عن أحلامنا، لكن الكلمات سرعان ما تخبو أمام قسوة الواقع، وكأن الحلم نفسه يخجل من أن يُقال بصوتٍ عالٍ.. في الكثير من الأحيان نضحك على أنفسنا، ونسخر من انتظارنا الطويل، لكن تلك الضحكات لا تستطيع أن تخفي الوجع الذي يعشعش في صدورنا.

أتساءل: **إلى متى سنظل على هذه الأرصفة؟ هل سنبقى هنا إلى أن تتحول أحلامنا إلى غبار؟ أم أننا سننهض يومًا، ونقرر أن نصنع طريقنا بدلًا من انتظار قطارٍ قد لا يأتي أبدًا؟**

صراع الهوية

أنا ابن هذا العصر، أو هكذا يقال! لكن عندما أنظر في المرآة، أرى وجهًا لا يشبهني.. كيف يمكنني أن أكون أنا وسط هذا التمزق بين عاداتٍ عتيقةٍ تتشبث بي، وحداثةٍ جامحةٍ تحاول أن تبتلعني؟

في داخلي صوتان يتصارعان: صوت الماضي الذي يهمس لي بألا أتخلى عن جذوري، وصوت الحاضر الذي يصرخ أن أواكب العالم، وإلا سأتخلف عن الركب. لكنني أعيش وسط هذا التناقض، كأنني أبحث عن هوية لم تُكتب بعد، عن أناي التي تاهت في زحام المفاهيم.

في مدرستي، قالوا لي إن تاريخي مجيد، وإن لغتي بحرٌ لا شاطئ له. وفي الشوارع، رأيت كلماتٍ غريبة، ولافتاتٍ بلغةٍ ليست لي، وكأن العالم بأسره يقول لي إن ما أملك ليس كافيًا أو لا قيمة له.

أتساءل: **هل يمكن أن أكون عربيًا في روحٍ حديثة؟ أم أنني سأظل ممزقًا بين الماضي الذي أقدسه والحاضر الذي أهرب منه؟ هل الهوية إرث نحمله، أم حلمٌ نصنعه بأيدينا؟**

أقنعة السوشيال ميديا

نعيش خلف شاشاتٍ تُظهر كل شيء إلا الحقيقة! نبتسم في الصور، نكتب جملاً منمقة، ونتظاهر بأننا نعيش حياة الأحلام...، لكن الحقيقة؟ هي في تلك الأوقات التي نغلق فيها هواتفنا، ونسقط في صمتٍ عميقٍ مع أنفسنا.

على السوشيال ميديا، نحن أبطال قصصٍ لم نكتبها، نرتدي أقنعةً لامعة، نخفي خلفها ضعفنا وخوفنا ووحدتنا. هناك، كل شيء يبدو مثاليًا: السعادة، العلاقات، وحتى الأحلام. لكننا نعرف، في أعماقنا، أن هذا كله سراب.

كم من الوقت نهدره في مقارنة حياتنا بما نراه على الإنستغرام؟ ننسى أن الصور ليست إلا لقطاتٍ مختارة بعناية، وأن وراء كل ابتسامةٍ هناك وجعٌ قد لا نراه.

نحن جيلٌ يعيش ليُعرض، يكتب ليُعجب به الآخرون، ويتحدث كي يُسمع، وليس لأن لديه ما يقوله حقًا.

أتساءل: **متى نجرؤ على خلع هذه الأقنعة؟ متى نصبح حقيقيين، ولو لبرهة؟ أم أن السوشيال ميديا صنعت لنا عالمًا لا مكان فيه للحقيقة، عالمًا نتقن فيه الكذب على أنفسنا أكثر من أي وقت مضى؟**

مدن بلا قلب

نمشي في شوارع مدننا، نرى مباني شاهقةً تلامس السماء، وطرقاتٍ مزدحمةً لا تنام، لكننا لا نجد دفء القلب فيها، لأن مدننا تحولت إلى متاهاتٍ من الإسمنت، نبضها مفقود، وروحها ضاعت وسط الضوضاء.

نجتمع في الساحات، ونعبر الجسور، لكننا نظل غرباء عن بعضنا البعض، وكأن كل واحدٍ منا يعيش في فقاعته الخاصة، يرى العالم من خلال نافذةٍ صغيرة، ولا يحاول أن يفتح الأبواب.

في مدننا، تتكدس الطموحات لكنها تختنق، وتتكاثر الوجوه لكنها تفتقد المعنى. كأن الحياة أصبحت سباقًا لا نهاية له، حيث يركض الجميع دون أن يعرفوا لماذا.

أتساءل: **كيف فقدت هذه المدن قلبها؟ هل سرقتها عجلة السرعة؟ أم أننا نحن الذين تركناها وراءنا ونحن نركض نحو وهم التقدم؟ وهل يمكن للمدينة أن تعود إلى إنسانيتها يومًا، أم أنها ستظل مجرد هيكلٍ ضخمٍ لا يسكنه سوى الصمت؟**

زمن الاستهلاك

نعيش في عصرٍ يقيس قيمتنا بما نشتري، ويحدد مكانتنا بما نملك، فقد أصبح الاستهلاك هو الدين الجديد، والإعلانات هي الصلوات التي نتلوها يوميًا دون وعي.

نتسابق لاقتناء كل ما هو جديد، دون أن نسأل: هل نحتاجه حقًا؟ نشتري ليس لأننا بحاجة، بل لأن العالم أقنعنا أن ما لدينا ليس كافيًا: هواتف تُستبدل كل عام، ملابس تُصبح قديمة بعد موسم، وحياة تُباع بالتقسيط.

لكن ماذا نستهلك حقًا؟ هل هي السلع فقط؟ أم أننا نستهلك أعمارنا، وأوقاتنا، وحتى أرواحنا!

في هذا الزمن، أصبح الإنسان نفسه منتجًا، يُسوق لحياته، ويعرض نفسه في مزاد القبول الاجتماعي.

أتساءل: **هل يمكن أن نتوقف عن هذا الجنون؟ هل يمكن أن نستعيد البساطة؟ أم أن زمن الاستهلاك قد ابتلعنا تمامًا، وجعلنا نعيش لنشتري بدلًا من أن نشتري لنعيش؟**

أحلام مؤجلة

على رفوف الحياة، تتكدس أحلامنا المؤجلة ككتبٍ لم يُكتب لها أن تُقرأ.. أحلامٌ تحمل عناوين عريضة، لكنها تفتقد إلى فصولٍ تُروى، فكلما اقتربنا منها، جاءنا صوتٌ من الداخل يقول: ليس الآن، ربما غدًا.

نؤجل أحلامنا بحجة الظروف، نعلقها على شماعة الوقت المناسب، لكننا نعلم في أعماقنا أن الوقت المناسب لن يأتي أبدًا.

نحن جيلٌ يملك أحلامًا كثيرة وكبيرة، لكنه يفتقد الجرأة لتحقيقها.

أحلامنا ليست المشكلة بل تأجيلها، كأننا نعيش في مسابقةٍ دائمةٍ مع الزمن، نخسر فيها دائمًا. فهل نجرؤ يومًا على أن نخرج تلك الأحلام من رفوفها، ونمنحها الحياة التي تستحقها! أم أننا سنتركها هناك، شاهدةً على ما لم يكن!

أتساءل: **كيف يمكن لأحلامنا أن تزهر ونحن نحاصرها بانتظارٍ لا ينتهي؟ كم من الأحلام دُفنت قبل أن ترى النور؟ كم من الطموحات تلاشت تحت وطأة التردد والخوف؟**

أجنحة مكبلة

نحلم بالتحليق في السماء، لكننا نكتشف أن أجنحتنا مكبلة بأغلالٍ لا تُرى.. نملك الطموح، لكن الواقع يقيدنا، يثقلنا بالأعباء ويكسرنا بأحكامه الجاهزة، كما أننا نريد أن نطير بعيدًا، لكننا نغرق في الأرض.

كل يومٍ نرى الآخرين يرفعون رايات "النجاح" في السماء، ونحن ما زلنا نتلمس خطواتنا الأولى، لكن في أعماقنا نعلم أن السماء ليست بعيدة، هي أقرب مما نعتقد، لكننا نخشى أن نطير، ونخشى أيضاً أن نواجه الرياح التي قد تهدد أجنحتنا الضعيفة.

للأسف! أجنحتنا ليست ضعيفة، لكننا نحن من كبلناها، ونحن من استسلمنا أمام التقاليد، أمام النظم التي تصنع لنا قيودًا لتبقي أحلامنا على الأرض. لكن كم من المرات حاولنا أن نطير فقط لنجد أن الخوف هو ما يعوقنا أكثر من أي شيء آخر؟

أتساءل: **متى نجرؤ على فك أغلالنا؟ متى نقرر أن نسمح لأجنحتنا بأن تنمو وتطير في السماء التي خلقت لها؟**

ذاكرة الحلم العربي

كان الحلم العربي يومًا ينبض بالأمل، جسرًا يربط بين الماضي والمستقبل، وعدًا بالتحرر والعدالة والمجد...، كان لدينا حلمٌ بأن نكون قوةً لا يُستهان بها، أن نعيد لبلادنا عزها ومكانتها بين الأمم، لكن مع مرور الزمن، تحول هذا الحلم إلى ذكرى بعيدة، تلاشت وسط ضباب الواقع.

في البداية، كان الصوت يتردد في كل زاوية: نحن قادرون على التغيير، نحن من سيصنع المستقبل...، لكن مع الأيام، تحولت تلك الأحلام إلى شعارات فارغة، رُفعت في الشوارع، وعُلّقت على الجدران، لكنها لم تجد سبيلًا إلى القلب.

أصبح الحلم العربي شيئًا يُدرس في الكتب، يُستعاد في المناسبات، ولكنه لم يعد جزءًا من حياة الناس.

أتساءل: **كيف لهذا الحلم أن يعود؟ وهل يمكن للذاكرة أن تصنع مستقبلًا جديدًا؟ أم أن ما تبقى من الحلم هو مجرد أشلاءٍ من ماضٍ**

كان؟ وهل كان الحلم العربي خطأً؟ أم أننا ضيعناه؟ وكيف نُحيي هذا الحلم، ونمنحه الأمل من جديد؟

غرباء في ديارنا

نعيش في وطنٍ يُفترض أن يكون لنا، لكننا نشعر فيه بالغربة.. نمرّ بالشوارع التي عرفناها منذ الصغر، نرى الوجوه التي ألفناها، ولكن هناك شيءٌ ما تغيّر، هل هو الزمن الذي فعل فعله؟ أم أننا نحن من ابتعدنا عن أنفسنا؟

كل شيء حولنا أصبح مختلفًا: الناس يسيرون بسرعةٍ لا تلحظها العين، المدن تتوسع وتغطي أرواحنا، والسياسة تزداد تعقيدًا بينما نحن نظل في مكاننا، ننتظر التغيير الذي لن ولم يأتي قريباً.

نحن جيلٌ تربى على الحلم بوطنٍ أفضل، لكننا لا نجد أنفسنا فيه حتى الآن.

نحن غرباء ليس لأننا جئنا من مكانٍ آخر، ولكن لأننا فقدنا القدرة على التواصل مع الأرض التي نشأنا فيها، فقد أصبحنا نبحث عن شيء لا نعرفه، نشتاق إلى مكانٍ لا نملك مفاتيحه. ونحن، بين هذا وذاك، نعيش في ظلّ عالمٍ لا يتسع لنا ولا يعترف بنا.

أتساءل: **هل سيأتي يومٌ نُشعر فيه بأننا في ديارنا حقًا؟ أم أننا سنظل نعيش بين أزقةٍ من الذكريات، ننتظر عودة شيءٍ فقدناه منذ زمن؟**

شبح المستقبل

يختبئ المستقبل أمام أعيننا، شبحٌ غير مرئي، يتنقل بيننا من غير أن ندركه.. نعيش اليوم في قلقٍ دائم، نبحث عن إجاباتٍ لما سيحدث، ونحاول أن نرسم طريقنا في ظلامٍ كثيف. والمستقبل، الذي يبدو كما لو أنه حلمٌ بعيد، يقترب منا كل يوم، ونحن نرى ملامحه تتشكل ببطءٍ، لكننا لا نعرف كيف نتعامل معه.

في كل زاوية، يهمس لنا صوتٌ يقول: لا تدع المستقبل يفاجئك. لكن، هل نحن حقًا قادرون على معرفة ما سيحدث؟ هل نحن من يقرر مصيرنا، أم أن القدر هو الذي يقرر لنا؟

نحن عالقون في الحاضر، نعيد التفكير في خطواتنا، نعيد حساباتنا، ولكن هناك دوما هذا الخوف من الغد، هل سيكون أفضل أم أسوأ؟ هل سنتمكن من النجاة، أم أننا ماضون نحو المجهول؟

أحيانا، أحس أن المستقبل ليس سوى عبءٍ نضعه على أكتافنا، نحاول أن نتحمل ثقله بينما هو يتزايد كل يوم.

أتساءل: **هل سيتوقف هذا الشبح يومًا؟ وهل يمكننا أن نعيش بلا خوف من غدٍ مجهول؟ أم أننا سنظل نركض خلفه، نطارده، ولا نصل إليه أبدًا؟**

وجوه بلا ملامح

نعيش وسط بحرٍ من الوجوه، لكننا غالبًا ما نفقد القدرة على التمييز بين بعضها البعض.. كل وجهٍ يمر أمامنا يبدو غير مألوف، وكأننا نراه لأول مرة، وكأننا نرى أشخاصًا بلا ملامح، والعالم يمتلئ بالوجوه التي لا تعبر عن شيء، التي تحمل بين خطوطها قصصًا لكنها تختار أن تظل صامتة.

نحن في عصرٍ فقد فيه الناس هويتهم، أو بالأحرى، أخفوا أنفسهم خلف أقنعةٍ متعددة، والملامح أصبحت عابرة، والمشاعر مُخبأة في زوايا العقل، لا نسمح لها بالظهور خوفًا من الفقد أو الخيانة.

هل نعرف حقًا من نرى؟ هل نرى الإنسان الذي يقف أمامنا بصدق، أم أننا نرى فقط انعكاس ما نتوقعه؟

هناك في أعماق كل وجهٍ، تُخفي الأرواح ضجيجها، لكنها تظل سابحة في بحرٍ من التوقعات والأحكام المسبقة.

أتساءل: **هل نحن حقًا نعيش في عالمٍ مليء بالوجوه؟ أم أن هذه الوجوه ما هي إلا أصداء لحياةٍ لا نملك ملامحها؟ وكيف لنا أن نُعيد رسم**

ملامحنا في عالمٍ أصبح فيه كل شيء لا قيمة له ولا معنى له؟

أنين الصمت

هناك نوعٌ من الصمت لا يمكن للحديث أن يملأه، لأنه ليس هدوءًا بل صراخًا مخفيًا، كأن الكلمات ترفض الخروج، وتختنق في الحنجرة.. في هذا الصمت، لا نجد راحة، بل هو بمثابة أنينٍ يتردد في أرجاء الروح، فعندما تتوقف الأصوات من حولنا، يظهر هذا الصمت أكثر وضوحًا، كجدارٍ كثيفٍ يحيط بنا، لا نعرف كيف نتحرر منه.

قد يظن البعض أن الصمت ما هو إلا غياب للكلام، لكن الحقيقة أن الصمت في بعض الأحيان يكون أكثر تعبيراً من كل الكلمات نفسها، فهو الأنين الذي لا نسمعه بأذننا، لكننا نحس به في أعماق ذواتنا.

في أوقات الصمت، تبرز الأسئلة التي لا نجد لها إجابة، يتعالى الهمس الداخلي، ونحس أن الكلمات عالقة في الهواء لا تجد من يسمعها. وفي هذه اللحظات، يصبح الصمت نفسه مرآةً لما بداخلنا، يحمل كل الآلام والأحلام التي لا نستطيع أن نرويها.

أتساءل: **هل هذا الصمت هو ملاذٌ للراحة، أم أنه مجرد عبءٍ ثقيلٍ على قلبنا؟ هل يمكن للصمت أن يمنحنا السلام، أم أنه يظل يحمل في طياته معاناةً لا تُرى؟**

الشوارع الحزينة

كلما مشيت في الشوارع، أحسست وكأن الأرض نفسها تبكي.. الطرقات التي كانت يوماً مليئة بالحركة، بالأصوات، بالحياة، أصبحت اليوم خاوية، كما لو أن الزمن توقف هنا، كما لو أن هذه الشوارع تحمل حزنًا عميقًا لم تقدر عليه الكلمات.

الأرصفة التي كانت شاهدة على ضحكات الأطفال، على خطوات العشاق، على همسات الأصدقاء، تبدو الآن صامتة، غارقة في صمتٍ ثقيل، والمباني التي كانت تُزين الأفق، أصبحت محطمة، جدرانها تتكلم عن سنواتٍ من الخوف، وتاريخٍ من الألم.

لكن الحزن لا يقتصر على الجدران والأرض، بل في الأشخاص الذين يمرون في هذه الشوارع: عيونهم فارغة، خطواتهم بطيئة، وكأنهم يبحثون عن شيء ضاع منهم في الزمان.

الشوارع لم تعد مكانًا للعبور فقط، بل أصبحت تمثل ذاكرةً مكسورة، وحكاياتٍ لم تكتمل.

أتساءل: **هل كانت هذه الشوارع مليئة بالحياة حقًا، أم أن الحزن كان دائمًا هناك، مختبئًا بين الزوايا؟ وهل يمكن أن تعود الشوارع إلى ما كانت عليه، أم أننا ضيعنا معها جزءًا من أنفسنا؟**

بين الماضي والحاضر

نقف في نقطةٍ بين الماضي والحاضر، كمن يحمل حقيبةً ثقيلة مليئة بالذكريات، لكنه لا يستطيع أن يقرر ما يجب أن يتركه وراءه.. كلما نظرنا إلى الوراء، نجد أنفسنا نغرق في بحرٍ من الصور التي مرّت، في أوقاتٍ كانت تعج بالحياة، رغم قسوتها، ورغم معاناتها. لكننا لا نستطيع أن ننكر أن هذه الصور شكلت جزءًا من هويتنا، وتركّت بصمتها على أرواحنا.

أما الحاضر، فهو مشهدٌ سريع، لا يدع لنا الوقت للتوقف والتأمل، لأننا لا نعرف كيف نعيش فيه بأقصى قدر من الوعي، لأننا دائمًا مشغولون بالانتظار لما سيأتي بعد، فهل نحن نعيش في الحاضر حقًا، أم أننا مجرد زوار عابرين بين لحظاتٍ لا نملك التحكم بها؟

بين الماضي الذي نحمله، والحاضر الذي يهرب منا، نبحث عن معنى، عن سلامٍ داخلي، عن لحظةٍ من التوازن. لكن كلما حاولنا أن نجد هذا التوازن، نجد أن الماضي لا يريد أن يفارقنا، وأن الحاضر لا ينتظرنا.

أتساءل: **هل يمكننا أن نجد أنفسنا في هذه الفجوة بين الزمنين؟ هل يمكننا أن نصنع من الماضي قوةً نعيش بها في الحاضر، أم أن هذه المسافة ستظل حاجزًا بيننا وبين ما نريد أن نكون؟**

أثقال على القلب

هناك بعض الأوقات في الحياة لا نشعر فيها بثقل الجسد فقط، بل بثقل الروح نفسها.. يزداد العبء على القلب، يصبح وكأنه ينوء تحت أوزارٍ لا تُرى، أوزار مليئة بالألم والخيبات، بالذكريات التي لا يمكن نسيانها، والمشاعر التي لا تجد مخرجًا، فكل خطوة نخطوها تبدو وكأنها جبل نحمله على أكتافنا، وكل كلمة نتلفظ بها تحمل في طياتها صدى الحزن الذي لا يرحل.

لكن هذا الثقل ليس مرئيًا، لا يمكن لأحد أن يراه إلا من خلال عيوننا المتعبة، أو في طريقة حديثنا التي تكاد تخرج بصعوبة. وفي قلب كل منا، هناك أثقالٌ لا يستطيع العالم أن يتحملها نيابةً عنا.

كيف لنا أن نواجه هذا الثقل؟ هل نستطيع أن نحرر أنفسنا من قيوده، أم أننا سُجناءٌ في سجون من صنع أيدينا؟

أحيانًا، نبحث عن ملاذٍ لهذا الثقل، نحاول أن نُسكّن الألم بالحديث، بالموسيقى، بالأشياء الصغيرة التي تمنحنا لحظاتٍ من الراحة، ولكن لا شيء يخفف من هذا العبء الثقيل.

أتساءل: **هل سيكون هناك يومٌ نجد فيه السلام الذي طالما بحثنا عنه، أم أن هذا القلب سيظل يحمل أثقالًا لا تُحصى؟**

رسائل النجاة

في قلب كل عاصفةٍ، هناك لحظةٌ هادئة، بين الأفق والسماء، حيث تتناثر رسائل النجاة.. ليست رسائل مكتوبة على ورق، بل إشارات تُرسل إلى أعماقنا، تدفعنا للاستمرار، رغم كل ما يحيط بنا من فوضى وتشتت.

نبحث عن هذه الرسائل في عيون من حولنا، في الكلمات التي لا تُقال، وفي الأفعال التي تتحدث بصمت، ونرى في كل مساعدةٍ صغيرة، وكل ابتسامةٍ صادقة، نافذةً للنجاة...، فتلك اللحظات القليلة التي نحس فيها بالأمل، تجعلنا نستمد القوة لمواصلة السير في دربٍ مظلم.

لكن رسائل النجاة لا تأتي دائمًا بالطريقة التي نتوقعها، فأحيانًا تظهر في أوقات الصمت العميق، عندما نكون وحدنا، نستعيد قوتنا الداخلية التي ظننا أننا فقدناها. وأحيانًا، تأتي في شكل تحدٍ، لتعلمنا أن في قلب كل أزمةٍ تكمن فرصةٌ للنمو.

نحن لا نعرف أبدًا من أين ستأتي تلك الرسائل، ولكننا نعلم أن النجاة لا تكون في الهروب من العواصف، بل في تعلم كيفية العيش معها، وكيفية

تحويل كل صعوبة إلى درسٍ يدفعنا للأمام. لأن في أعماق كل منا، هناك طاقة لا تنفد، إذا تعلمنا كيف نسمع رسائل النجاة التي يبعثها المطلق إلينا.

إشراق الأمل

في عمق الظلام، حيث لا تجد سوى الصمت والوحدة، يظهر فجأة شعاع صغير، خفيف كأملٍ بعيد.. هو ليس ساطعًا في البداية، بل يبدو كوميضٍ ضعيف يتناثر في الأفق البعيد، لكن هذا الشعاع يذكرنا بشيء عميق في أنفسنا: أن الأمل لا يموت، حتى وإن طال الزمن.

نحن في حياتنا نقابل الكثير من الارتباك والخوف، من التحديات التي تشدنا إلى الأسفل، من الحروب التي نخوضها مع أنفسنا ومع العالم من حولنا. لكن مع كل هذا، يبقى الأمل كامنا في أعماقنا، ينتظر اللحظة المناسبة ليشرق.

إشراق الأمل لا يعني أن الأمور ستكون أفضل على الفور، ولكنه يعني أن هناك دائمًا فرصة للتغيير، لحظة يمكن أن تغير مسارنا إلى الأبد، فهو ذلك الإحساس الذي يراودنا عندما نعتقد أننا فقدنا كل شيء، ثم نجد أن الحياة ما زالت تقدم لنا فرصًا صغيرة، فرصٌ مليئة بالضوء، وإن كانت لا تزال بعيدة.

كل إشراقة أمل هي دعوة لنا للاستمرار، للاستيقاظ من غفوتنا، لنتجاوز الألم ونسير رغم العوائق. قد لا نرى الهدف بوضوح، لكننا نعلم أن الشعاع الذي يظهر في السماء هو دليلٌ على أن هناك طريقًا مفتوحًا، وأن الأمل ليس مجرد وهم، بل هو الحقيقة التي نعيش من أجلها.

أجنحة لا تنكسر

رغم الرياح العاتية، رغم العواصف التي تحاول أن تسحبنا إلى الأسفل، تبقى هناك أجنحة في أعماقنا لا تنكسر.. أجنحة تنبع من قوة لا نراها في البداية، لكنها تكبر مع كل تجربة، مع كل صراع خضناه في هذا العالم البئيس.

في حياتنا، نمر بالكثير من التجارب التي تكاد تحطمنا، ونحس أحيانًا أن كل شيء من حولنا يتهاوى، وأننا أصبحنا مجرد قطع صغيرة في بحرٍ من الفوضى. ولكن، في قلب هذه اللحظات، تظل هناك قدرة عجيبة في داخلنا تدفعنا للنهوض مرة أخرى.

أجنحتنا لا تنكسر، لأنها لا تعتمد على الظرف الخارجي، بل على ما في داخلنا من عزيمة، وحتى حينما نعتقد أن الطريق مغلق، تفتح أمامنا أبواب جديدة، حتى حينما نفقد الأمل، نجد أنفسنا ننهض مجددًا، لأننا نملك القدرة على الاستمرار.

هذه الأجنحة، مهما كانت ضعيفة في البداية، تجد قوتها في الإيمان بأننا قادرون على الطيران فوق كل ما يعترض طريقنا. فلا شيء في هذا العالم يمكنه أن يكسر روحًا مصرّة على الحياة، ولا يمكن لأي شيء أن يحطم جناحي الأمل الذين نطير بهما إلى الأمام.

رسالة الحلم الأخير

في كل نهاية، هناك بداية جديدة، حتى وإن كانت النهاية مأساوية.. وفي كل حلم ضاع، هناك بقايا أمل تنبض في أعماقنا، تنتظر أن تُحيى مجددًا. وفي آخر لحظةٍ من الحلم، تأتي الرسالة التي لطالما غفلنا عنها، الرسالة التي كانت مختبئة بين سطور الزمان، بين الهمسات التي لم نسمعها، وبين الأبواب التي رفضنا فتحها.

رسالة الحلم الأخير ليست رسالة خسارة بل هي دعوة للاستيقاظ، إنها تذكرنا أن الحلم مهما طال، ليس نهاية الطريق. ربما كنا نعيش في أوهام، نطارد ما لا يمكن أن نصل إليه، لكن الحلم الأخير هو الذي يعلمنا كيف نعيش الحقيقة، كيف نحتفظ بالأمل حتى في أصعب الأوقات.

الحلم الأخير هو أن نتعلم كيف نترك وراءنا ما لا يمكن تغييره، كيف نُحسن العيش مع ما لدينا، وكيف نمتلك القوة لنبدأ من جديد، فقد يختتم الحلم، لكن الحياة لا تتوقف.

وعندما نلتفت نحو السماء، نجد أن آخر حلمٍ لنا هو بداية لرحلة جديدة، رحلة نحو الحقيقة التي لن تهرب منا، رحلة نحو أن نكون أكثر واقعية، وأكثر قوة، لأن كل نهاية في جوهرها، هي بدايةٌ جديدة.

خاتمة:

مع انتهاء هذه الخواطر التي لا أعتبرها نهاية، بل هي بداية لرحلة جديدة في عالم الأفكار والمشاعر التي لا تنتهي. لقد حاولت أن أسجل في هذه الصفحات ما يعجز اللسان عن قوله، وما لا تلتقطه العين في زحمة الحياة.

قد تكون الخواطر التي قرأتها ليست حلولًا جاهزة، ولا إجابات قاطعة على الأسئلة التي تواجهنا، لكنها دعوة للتفكير، للتأمل، ولإعادة النظر في الأشياء التي اعتدنا أن نمرّ بها بلا انتباه. فكل لحظة من لحظاتنا هي فرصة جديدة لنعيد اكتشاف أنفسنا، ولنمنح هذا العالم فرصة أخرى ليتغير، إن كانت لدينا الجرأة أن نراه بعينين صافيتين.

إذا كان هذا الكتاب قد نجح في تحفيزك على التفكير أو دفعك للسؤال، فإنني أكون قد حققت هدفًا صغيرًا. لأن كل كلمة فيه كانت محاولة بسيطة لتحريك شيء ما في داخلك، لأننا جميعًا بحاجة لتلك اللحظات التي نوقف فيها عجلة الزمن، وننظر إلى ما حولنا بعيون أكثر وعياً.

وأخيرًا، أترك لك هذه الرسالة: **الحياة مليئة بالتحديات، لكن ما يجعلنا نستمر هو قدرتنا على الحلم، على التفكير، على المضي قدمًا في السعي نحو الأفضل. فلا تنسَ أن الحلم لا يموت، وأنه مهما كانت العواصف والظلمات من حولنا، هناك دائمًا أفق جديد يشرق ليضيء لنا طريقنا في هذه الحياة الصعبة والمرهقة والتي لا ترحم.**

*****